حجة أخلاقية على وجود الله طِبقًا للاستدلال الاستخلاصي[1]

دايفيد باغيت[2]

ثمّة حجّــة من بين عشرات الحجج (أو ما يُقاربها) التي قُدّمتْ للبرهنة على وجود الله في مقالة ألفين بلانتينغا الشــهيرة والنافذة، التي بتقديره قد تكونُ هي الأفضــل من بينها. تندرجُ الحجّة موضع الســؤال بين الحجــج الأخلاقية التي قدّمها بلانتينغا، وهذه الحجّة الأخلاقية تســتدلُّ تحديدًا على وجود الله بناءً على الواجبــات الأخلاقيّة. من ناحية قوّة المقدمات والرابطة البرهانية بين المقدمات والنتيجة، يعتقدُ بلانتينغا أنّه من المحتمل أنّه لا تتقدّمُ حجّة آخر على هذه الحجّة المنبثِقة من اللاهوت الطبيعي[3].

صيغتان

يُقدِّمُ هذا الفصــل نموذجَين عن الحجّة، ويحتجُّ أنّ الصيغة الثانية على وجه التحديد تُشــكِّلُ تحديًا كبيرًا فعلًا في وجه المشــكِّك بوجود الله. النموذج الأول من الحجّة، أي النموذج القياسي، هو كالتالي:

1. Baggett, David. “Moral Arguments (actually R1 to Rn): An Abductive Moral Argument for God.” In Two Dozen (or so) Arguments for God: The Plantinga Project, edited by Jerry L. Walls and Trent Dougherty. Oxford: Oxford University Press, 2018.

٢. أســتاذ الفلســفة ومدير مركز الدفاع الفلســفي عن الأخلاق (Center for Moral Apologetics) في جامعة هيوستن المعمدانية (Houston Baptist University).

3. natural theology

١. ثمّة واجبات أخلاقية موضوعية.
٢. إذا وُجِدتْ الواجبات الأخلاقية موضوعية، فالله موجود.
٣. إذًا، الله موجود.

هذا النموذج من الدليل صحيحٌ بوضوح، وعليه فالسؤال الوحيد المتبقّي هو فيما إذا كانت تُرجّح صحّة المقدّمات أكثر من عدم صحتها (أي هل إنّ الدليل صحيح على الأرجح؟). ولكنّ السؤال حول «ما إذا كانت تُرجّح صحّة المقدّمات أكثر من عدم صحتها» هو سؤالٌ يُساوره الغموض بين القرائتين الفردية والجماعية. السؤالُ في القراءة الفردية هو: هل إنّ كلّ واحدة من المقدّمات تُرجّح صحتها على عدم صحتها، أم إنّ الأمر ليس كذلك؟ أمّا في القراءة الجماعية، فالسؤالُ هو: هل إنّ مجموعة المقدّمات المأخوذة بشكلٍ كليٍ تُرجّح صحتها على عدم صحتها، أم إنّ الأمر ليس كذلك؟ السؤالان مُختلفان من حيثيةٍ مهمة. من حيث المبدأ، قد تُرجّح صحة كلِّ واحدةٍ من المقدّمات على عدم صحتها، ولكنّ احتمال كون النتيجة صحيحة هو أقلّ من 50٪. قدّم تيموثي ماكغرو[1] مثالًا توضيحيًا مفيدًا هنا: خُذ على سبيل المثال أن يُدحرج نرد واحد، وفكِّر بالتالي:

١. النرد سوف يمنح نتيجة ١، ٢، ٣، أو ٤.
٢. النرد سوف يمنح نتيجة ٣، ٤، ٥، أو ٦.
٣. بالتالي، النرد سوف يمنحُ نتيجة ٣ أو ٤.

كلُّ مقدّمة هي مُرجّحة الصحة أكثر من كونها عديمة الصحة، والنتيجة تابعة قطعيًا من المقدّمات. مع ذلك، فمن الأقل ترجيحًا أن تكون النتيجة صحيحة على كونها باطلة. هذا دليلٌ جيدٌ يُشيرُ إلى أنّ ما يقتضيه النموذج القياسي هو

1. Timothy McGrew

القراءة الجماعية لصدق المقدّمات. التحامُ المقدمتين (١) و(٢) ينبغي أن يكون مُرجّح الصحّة أكثر من كونه باطلًا، وهذا ما يضمنُ أن تكون النتيجة مُرجّحة الصحّة.

أمّا الصيغةُ الثانية لدليل الواجب الأخلاقيّ، فهي الصيغة الاستخلاصية[1] وهيئتها كالتالي:

١. ثمّة واجباتٌ أخلاقية موضوعية.

٢. التفسير الأفضل للواجبات الأخلاقية الموضوعية هو وجود الله.

٣. بالتالي، الله موجود (على الأرجح).

المقصود من «الله» هو الله بالمعنى الأنسيلمي، أي مالك الصفات المطلقة (كالقوّة المطلقة والعلم المطلق وما إلى ذلك) وهو الإله في الإيمان الكلاسيكيّ[2]. يُعَدُّ النمط الاستخلاصي من الاستدلال استدلالًا إلى أفضل تفسير، فهو يبدأُ بمعلوماتٍ مُحدّدة تحتاجُ إلى شرح، وينطلقُ من لائحةٍ تحوي تفاسير مُمكنة كي يحصر مُحتوياتها في التفسير الأفضل الوحيد من خلال تطبيق مجموعةٍ من المعايير التي تحوي مبادئ أخلاقية، وتضمُّ النطاقَ والقوة التفسيرية. يتعلّقُ النطاق التفسيري بمقدار المعطيات الوثيقة الصلة التي يتمُّ شرحها، وأمّا القوة التفسيرية فهي تسألُ عن جودة تفسير المعلومات. لاحِظ أيضًا أنّ المقدّمة (٧) هي عينها المقدّمة (١) في الدليل السابق، وهذا يكشِفُ أنّ كُلًا من الدليلَين القياسي والاستخلاصي المنطلقَين من الواجب الأخلاقيّ يعتمدان على وجود الواجبات الأخلاقيّة الموضوعية.

يأتي الاختلافُ البارز بعد ذلك: في النموذج القياس، ثمة قضية شرطية

1. abductive version

2. classical theism

يثبت مُقَدّمها - «إذا وُجدت الواجبات الأخلاقية الموضوعية، فالله موجود» - بينما يحتجُّ نموذج الاستخلاصي أنّ الله هو التفسير الأفضل للواجبات الأخلاقية. وعليه، فإنّ وجودَ الله مُستَلزَم في النموذج القياسي، بينما النموذج الاستخلاصي يستلزم -على الأقلّ مبدئيًا- أن يكون وجود الله هو التفسير الصحيح على الأرجح للواجبات الأخلاقية. النمطُ الاستخلاصي ليس مُقاربةً قياسية، وبالتالي فهو لا يدّعي أنّه يُولِّدُ نتيجة يستلزمه الدليل. بالأحرى، يتّصلُ الاستدلال بما يشرحُ على أكثر نحوٍ معقول المعطيات الوثيقة الصلة، وهي في هذه الحالة وجود الواجبات الأخلاقية الموضوعية. الدليلُ الاستخلاصي الجيّد يُخوِّل المستدِل عقليًا، على الأقل مبدئيًا، أنّ يستدلّ أنّ التفسير الأفضل -على فرض أنّه تفسير جيّدٌ بما فيه الكفاية بالطبع- هو التفسير الصحيح.

صيغةُ ألفين بلانتينغا

كتبَ بلانتينغا التالي في مقالته الأصليَة حول البُنية العامة للدليل الأخلاقي:

«(١) قد يجدُ أحدهم نفسَه مُقتنعًا تمامًا (كما هو حالي) بأنّ الأخلاق موضوعية، ولا تعتمدُ على ما يعرفه البشر أو يُفكّرون به، وأنّه لا يُمكن تفسيرها على ضوء أيّ معلوماتٍ «طبيعية» حول الإنسان أو غيره من الأشياء؛ وأنّه لا يُمكنُ تفسيرها في النهاية على ضوء المعلومات المادية أو الكيميائية أو البيولوجية. (٢) قد يكون المرءُ مقتنعًا أيضًا بعدم إمكانية وجود هذه المعلومات الأخلاقية الموضوعية إلا مع وجود شخص مثل الله يُشرّعها بطريقةٍ أو بأخرى».

لاحِظ كيف أشار بلانتينغا في هذا المختصَر إلى «الأخلاق[1]» بحدّ ذاتها بدلًا من الواجبات الأخلاقية على وجه التحديد، ولكنّه أكّد في سياقاتٍ أخرى أنّه

1. morality

يعتبرُ أنّ الواجبات الأخلاقيَة هي الحقيقة الأخلاقية الأشدّ مُقاومةً للتحليل الطبيعاني[1]. يتضمّنُ معنى «الموضوعية»[2] الذي يؤكّد عليه بلانتينغا عدمَ الاعتماد على ما يعرفه البشر أو ما يُفكّرون به. على سبيل المثال، معادلة «٢ ضرب ٢ يُساوي ٤» لا تعتمدُ على تفكير أي كائنٍ بشريٍ بأنّ الحال هو هكذا. ما يعتمدُ على البشر على أكثر تقدير هو الرموز التقليدية التي تُستخدم للتعبير عن القضيّة، ولكنّ وجود القضيّة وقيمة الصِدق التي يتمتّعُ بها ومكانته الموجّهاتية[3] لا تعتمدُ كلّها على البشر.

من المثير للاهتمام أنّ بلانتينغا قد ضمّ ضمن نقطته الأولى كُلًا من وجود الأخلاق الموضوعية وعدم قدرة البيانات العلمانية على شرحها أو تقويتها. أشارتْ نقطته الثانية بعدها إلى الحاجة إلى «شخصٍ مثل الله» كي يكون أساسًا للأخلاق بمعنىً ما. ثمّة بعض النقاط التي يلزمُ التأكيد عليها هنا. حدّدَ بلانتينغا ثلاث وظائف مُتمايزة ينبغي إتمامها لتفصيل الدليل:

أ) ترسيخ الواقعية الأخلاقية[4] أو افتراضها؛

ب) التأكيد على القصور التفسيري في البيانات الطبيعية؛

ج) الدفاع عن البيان التفسيري الأسمى الذي قدّمه الإيمان الكلاسيكي بالإله.

ربطَ بلانتينغا بين (أ) و(ب) رُغم أنّ (ب) و(ج) يرتبطان معًا غالبًا. لا يعتمدُ الكثير على تشكيل بلانتينغا للدليل على هذا النحو، إلا أنّه ربما قد يكشِفُ

1. naturalistic analysis
2. objectivity
3. modal status
4. moral realism

شيئًا ما عمّا يعتبره بلانتنيغا تحديًا تفسيريًا صلبًا في وجه مؤيِّدي المذهب الطبيعي. على ضوء الطبيعة المتمايزة للحقائق الأخلاقية، وللواجبات الأخلاقية خصوصًا -موضوعيتها وسُلطتها وإلزاميتها- فإنّ مؤيِّدي المذهب الطبيعي والعلمانيّين يستصعبون تفسيرَ سببها. بما أنّ المقدّمة الأولى مُشتَرَكة في كُلٍ من النموذجين القياسي والاستخلاصي للحجة، علينا أن نتطرّق قليلًا إلى ما تطرحه الواقعية حول الواجبات الأخلاقية قبل أن نأخذ نظرةً أعمق إلى كلّ نموذجٍ على حدة.

الواجبات الأخلاقية الموضوعية

أغلبُ الناس، سواءً كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين، يدّعون أنّهم يؤمنون بامتلاكنا لوظائف أخلاقية تُملي علينا بعضَ الذي ينبغي أن نفعله. لا تُعبِّر كلُّ كلمة «يلزم» عن لزومٍ أو وجوبٍ أخلاقي بالطبع، ولكنّ اللزوم/ الوجوب الأخلاقي يُعدُّ فئةً أخلاقيّةً مهمة ينبغي أن يُفسَحُ لها المجال وتُفهَم في الرؤية الكونية التي يُؤمن بها الفرد. حتّى العديد من المفكّرين العلمانيّين يدّعون الإيمانَ بالواجبات الأخلاقيّة والقدرة على الالتزام بإملاءاتها من دون الحاجة إلى مُساعدةٍ خارقة للطبيعة. إحدى الاعتبارات التي تأتي لصالح الواقعية الأخلاقية فيما يتعلّقُ بالواجبات الأخلاقية هي إبستمولوجيةً بطبيعتها. على ضوء عُمق القناعات الأخلاقيّة وتغلغلها، ووضوح بعض الهواجس الأخلاقية، قد يردّ أحدهم على التشكيك بالواجبات الأخلاقية انسجامًا مع هذه الخطوط التالية:

١. يجب أن يعتمدَ التشكيكُ العقلي بالواجبات الأخلاقيّة على أسباب.

٢. تلك الأسباب ليست صحيحة بوضوح كالواجبات الأخلاقيّة نفسها.

٣. وعليه، ليس من المنطقيّ التشكيك بالواجبات الأخلاقيّة.

ما هو أحد أسباب التشكيك بالواجبات الأخلاقيّة؟ انبثقَ تحدٍ مُعاصرٍ من

علم النفس الأخلاقي التطوُّري[1]. تتمثّلُ الفكرة الأساسية وراء هذا التحدّي في أنّه يُمكن تفسيرُ المعتقدات الأخلاقيّة، ومن ضمنها المعتقدات حول الواجبات الأخلاقيّـة، من خلال العودة إلى كيفية تطوّرنا كنوعٍ بشري، ويُمكنُ تفسـيرُها على نحوٍ لا يرجعُ بشكلٍ جوهريٍ إلى الحقيقة الأخلاقيّة نفسها. وإذا كان يُمكنُ تفسـيرُ مُعتقداتنا الأخلاقية حول الواجبات بشـكلٍ وافٍ من دون الرجوع إلى الحقيقة الأخلاقية، فإنّنا نملكُ سـببًا إذًا للتشكيك بصدق مُعتقداتنا الأخلاقيّة. حتّـى لو اتّفقَ أنّ مُعتقداتنا الأخلاقية هي صحيحة، فليس لدينا سـببٌ منطقيٌ جيـد للاعتقاد بانّها صحيحة، وذلك لأنّنا نفتقدُ للأسُـس الكافية للاعتقاد بأنّ مُعتقداتنا الأخلاقية تقتفي الحقيقة الأخلاقية[2]. على الأقل إذاً، تُقوِّضُ مثل هذه الحجّة الاعتقادَ العقـلاني بالواجبات الأخلاقية، هـذا إذا لم تُقوِّض الواجبات الأخلاقية نفسها.

إحدى الوسـائل لمحاولة الإجابة عـلى هذا التحدّي الموجَّـه ضدّ الواقعية الأخلاقية يكمـنُ في تقديم روايةٍ اقتفائية صريحة، وأنغوس ريتشي[3] هو نموذج عن فرد حاول تحقيق هذا الأمر بالذات[4]. احتجّ ريتشي أنّه، على خلاف البيانات العلمانية المتنوّعة حول المعرفة الأخلاقيّة، فإنّ الإطار الغائيّ الثري للرواية المبتنية على الإيمان بالإله يُمكن أن يُفسِّر بشكلٍ أفضل الطبيعة المقتفية للحقيقة في جهازنا الذهنـيّ. وفقًا لهذا البيان، الغاية التي يُريدهـا الله للبشر المتمثِّلة بامتلاك المعرفة الأخلاقيـة، ومن ضمنها المعرفة بالواجبـات الأخلاقية، يُمكن أن تُوفِّر الرواية

1. evolutionary moral psychology

٢. وظّف بلانتينغا نفسُه حجّةً شبيهةً بهذه الحجّة في دليله الموجّه ضدّ الاعتقاد العقلائي في المذهب الطبيعي.

3. Angus Ritchie

4. Ritchie, From Morality to Metaphysics: The Theistic Implications of our Ethical Commitments.

المطلوبة حول الكيفيــة التي يُمكن لقابلياتنا الأخلاقيــة المنتِجة للمعتقدات أن تعتمدَ عــلى الحقيقة بالطريقة الصحيحة. على هذا الأســاس، قدّم ريتشي حجّةً أخلاقيّة إبســتمولوجية على وجود الله. هذا لا يُشكِّل نموذج الحجّة الأخلاقيّة التي نتناولها هنا، ولكن من المثير للاهتمام أن نذكر بأنّه يبدو أنّ التحدّي الناشئ من علم نفس الأخلاق التطوّرية يُشــكِّلُ مُشــكلةً أكبر بكثــير لعلماء الأخلاق العلمانيّين من علماء الأخلاق الإلهيين.

إحدى الوســائل الأخرى لمحاولة الإجابة على التحــدّي التطوُّري الرامي إلى الإبطــال والموجَّه نحو الواجبات الأخلاقيّة هو من خلال بيانٍ غير اقتفائي. يســعى الحلّ غير الاقتفائي إلى تفســير المطابقة بين الحقيقــة الأخلاقية والمعتَقَد (كالواجب الأخلاقي الفعليّ واعتقاد الفرد به) من دون تفســيرٍ ســببي مباشر، وذلــك عبر اللجــوء إلى عاملٍ ثالثٍ يشرحُ كُلًا من الحقيقــة الأخلاقية والمعتقَد الأخلاقي. يخدمُ هذا في شرح الرابطة من دون الحاجة للاعتماد على روايةٍ اقتفائية ســببيةٍ مباشرة. تجذبُ هذه المقاربة على وجــه الخصوص اولئك الذين يعتبرون الحقيقة الأخلاقية خامدة ســببيًا. آثرَ إريك ويلينــبرغ، وهو عالمُ أخلاق علماني معــاصِر، هذه المقاربة، وكذلك فعل دايفيد إينوك رُغــم أنه اختار «عاملًا ثالثًا» مُختلفًا[1]. يجدرُ تقديمُ اســتعراضٍ موجز لمقترح ويلينبرغ هنــا، لأنّه وثيق الصلة بفهم الواجبات الأخلاقيّة.

«العامل الثالث»[2] الذي طرحه ويلينبرغ لتفســير وجــود تطابقٍ بين المعتقَد الأخلاقي والحقيقــة الأخلاقية هو مجموعة القابليات الذهنية الخاصّة بنا، وهي تُنتِجُ المعتقدات وتتّصلُ بشــكلٍ مُناسبٍ بالحقيقة الأخلاقية. الحقيقة الأخلاقية

1. Enoch, Taking Morality Seriously: A Defense of Robust Realism; Wielenberg, Robust Ethics: The Metaphysics and Epistemology of Godless Normative Realism.

2. third factor

المحدّدة التي يُوظّفها ويلينبرغ لغاياتٍ توضيحية هي حقيقة الحقوق الأخلاقيّة. كتب ويلينبرغ ما يلي في كتابه الذي صدر مؤخرًا: «عاملي الثالث هو بعض القابليات الذهنية: القابليات الذهنية الوثيقة الصلة تضمنُ رابطةً بين الحقوق الأخلاقية والمعتقدات حول الحقوق الأخلاقيّة، وذلك لأنّها تستلزمُ وجودَ الحقوق الأخلاقيّة وتُنتِجُ المعتقدات حول هذه الحقوق»[1]. وعليه، تستلزمُ القابليات الذهنية الوثيقة الصلة الحقوقَ وتُنتِجُ المعتقدات المتطابِقة، وبالتالي تضمنُ وجودَ الرابطة رُغم الجمود السببي في الحقائق الأخلاقية.

يبدو واضحًا إلى حدٍّ كبير لماذ يعتقدُ ويلينبرغ أنّ قابلياتنا الذهنية الوثيقة الصلة تُنتِجُ مُعتقداتٍ حول الوقائع الأخلاقية. ولكن كيف تستلزمُ تلك القابليات، وفقًا لرأيه، الحقوقَ الأخلاقيّة؟ استنادًا إلى رأيه، مُتبّعًا ديريك بارفيت، فإنّ الأسباب المعيارية تُحسَبُ لصالح اتّخاذ موقفٍ ما أو التصرُّف بطريقةٍ مُحدّدة[2]. يُمكنُ أن تتّصل الأسباب المعيارية بالادّعاءات حول ما يلزم أن نفعله، وذلك كالتالي: حينما نملكُ أسبابًا حاسمة أو أكبرَ سبب للتصرُف بطريقةٍ ما، فإنّ هذا الفعل هو ما يجب أو يلزم أن نؤدّيه. نملكُ أحيانًا أسبابًا أخلاقية حاسمة للتصرُّف بطريقة مُعيَّنة، وفي هذه الحالات لدينا واجباتٌ أخلاقيّة. ما يرتبطُ بالواجب الأخلاقي (الكامل) حيال شخصٍ آخر هو حقّ ذلك الشخص في أن يلقى مُعاملة مُحدّدة (أو أن لا يلقاها). بالتالي، على ضوء قابلياتنا الذهنية التي تُدركُ أحيانًا أسبابًا معيارية مهيمِنة للتصرُّف، فإنّ الحقوق (والوظائف المترابِطة) هي مُستلزَمة بالتالي.

بيانُ ويلينبرغ حول الحقوق هو مُفيدٌ هنا لكي نُدرك كيفية فهمه للواجبات

1. Wielenberg, Robust Ethics, 145.

2. Parfit, On What Matters.

الأخلاقيــة. وصف ويلينــبرغ وعددٌ من علــماء الأخــلاق العلمانيّين الآخرين المعاصِرين هــذه الواجبات بأنّها ناجِمة عن «أســباب معياريــة مهيمِنة»[1]. حينما نملكُ أسبابًا كافية من نوعٍ مُحدّد، فلدينا أسبابٌ حاسِمة للتصرُّف وبالتالي لدينا واجبٌ أخلاقي للتصرُّف. ولكن هل هذا يشرحُ بشكلٍ مُرضٍ وجودَ الواجبات الأخلاقية الملزِمة والحقوق الإنســانية القابلة للاســتئصال؟ يُمكنُ لشيءٍ قريبٍ من مقاربة ويلينبرغ حول «العامل الثالث» أن يملكَ قابلية تفادي الأدلة المبطِلة، ولكــنّ رواية ويلينبرغ حول الواجبات الأخلاقية قد تتركُ العديد من الأســئلة من دون إجاباتٍ كما سوف نحتجُّ لاحقًا. إنّ أخذ نظرة أدقّ إلى منطق الواجبات الأخلاقية ولُغتها وفينومينولوجيتها سوف يُوضِّحُ لماذا الأمر هو كذلك، ولكن من المناسب أولًا تقديم بعض الكلمات عن النموذج القياسي.

النموذج القياسي

فلنستذكر هنا النموذج القياسي من دليل الواجب الأخلاقي:

١. ثمّة واجبات أخلاقية موضوعية.

٢. إذا وُجدتْ الواجبات الأخلاقية الموضوعية، فالله موجود.

٣. إذًا، الله موجود.

يحظى هــذا الدليل بعدّة مزايا؛ فهــو بليغ وموجَز وواضــح. يحملُ الدليل القابليــة الإقناعية للبعض ويقتربُ مــن الدليل الذي طرحه ويليام لين كريغ في العديــد من الجامعات بنســبة نجاحٍ جيدة. الفرق بين هــذا النموذج والنموذج الذي قدّمه كريغ هو أنّ المقدمة المنطقية التي وظّفها كريغ تُشيرُ إلى كُلٍّ من القيم الأخلاقيــة الموضوعية والوظائــف، بينما النموذج الذي نتناولــه هنا هو أضيق

1. overriding normative reasons

بقليل مـن حيث النطـاق. (وظّف كريغ أيضًـا عكس نقيض المقدّمـة الثانية، وأنشـأ قياسًـا اسـتثنائيًا برفع التالي. رُغم مزاياه، فإنّ هذا النموذج من الدليل هو عُرضة لمجموعةٍ مُتنوّعة من الانتقادات المهمة. فلنأخذ بعين الاعتبار واحدةً فقط من هذه الانتقادات. خُذ المقدّمة الثانية: «إذا وُجدت الواجبات الأخلاقية الموضوعية، فالله موجود». عكس النقيض المكافئ منطقيًا لهذه القضية الشرطية هو: إذا لم يكن الله موجودًا، فلا وجود للواجبات الأخلاقية الموضوعية.

هذا مُؤسفٌ، على الأقل لأسبابٍ جدلية. ترمي الأدلة، أولًا وقبل كلّ شيء، إلى الوصـول إلى الحقيقـة، وثانيًا إلى الإقناع. حينما يسـمعُ الملحـدون الأذكياء والملتزمون بإلحادهـم الدعوى التي تُفيدُ أنّه إذا لم يكـن الله موجودًا فلا وجود للواجبات الأخلاقية الموضوعية، فإنّهم لن يُعاملوا هذه القضية الشرطية على أنها مُضادة للواقعية[1] أو مُضادة للجوهر[2]، بل على أنّها قضية شرطية صريحة يعتبرون مقدّمه صحيحة. إذا حافظ هؤلاء على الإلتزام بالواقعية الأخلاقية، فإنّهم بطبيعة الحال سـوف يعتبرون أنّ التالي باطل وبالتالي أن يكون المقدّم نفسـه باطلًا. يُعدُّ هذا دينامية جدلية شـائعة أكثر من كونه خللًا منطقيًا في الدليل، ولكن مع ذلك يبقى اعتبارًا وثيق الصلة.

تدفعُ صيغـة بلانتينغا في جهة المقاربة القياسـية. فلنتذكّر كلامه الذي يُفيدُ أنّ الأخلاق الموضوعية «لا يُمكنُ شرحها على ضوء أي حقائق «طبيعية» حول البشر أو الأشـياء الأخرى؛ وأنّه لا يُمكنُ شرحهـا في النهاية على ضوء الحقائق المادية أو الكيميائية أو البيولوجية». يقولُ بلانتينغا أيضًا إنّه يمكنُ أن يقتنع الفرد «بعدم إمكانية وجود هكذا حقائق أخلاقيّة موضوعية إلا إذا وُجد شخصٌ مثل

1. counterfactual

2. counteressential

الله يُشرِّعها بنحوٍ أو بآخر». يبدو أنّ هذا يُشيرُ إلى أنّ وجودَ الله يُشكِّل التفسيرَ الوحيدَ للواجبات الأخلاقيّة الموضوعية، وأنّه إذا لم يكن الله موجودًا فلا وجودَ للواجبات الأخلاقيّة. ولكن ما هو نوعُ الادّعاء الذي يُمكنُ طرحه حول عالمٍ لا يكون الله موجودًا فيه؟ إذا كان الله واجبَ الوجود، فليس ثمّة عالم ممكن لا يكونُ الله موجودًا فيه، وهذه نقطةٌ تتمتّعُ بأهميةٍ جذرية وكثيرًا ما تمَّ التأكيدُ عليها في مؤلفات بلانتينغا حول ميتافيزيقيا الجهة[1]. إذًا، ما الذي يُساويه الادّعاء الذي يتحدّثُ عن -أو يُومئ إلى- أبعاد عالمٍ لا يوجد فيه الله؟ كيف يكونُ مُختلفًا عن التخمينات الفارغة حول وجود عالمٍ تُساوي فيه معادلة «٢ ضرب ٢» ٥؟ وفقًا للفلسفة الأنسيلمية أو الإيمان الكلاسيكي بالإله، فإنّ هذه القضية الشرطية هي مضادة للجوهر، وبطريقة عنيدة على وجه الخصوص: عالمٌ حيث واجب الوجود -بل وأساس الوجود- هو غير موجود. بالطبع، من الصحيح إلى حدٍ بعيدٍ أن لا يكون ثمّة واجبات أخلاقية في هكذا عالم. لن يُوجد شيءٌ على الإطلاق، لأنّ هكذا عالم هو مستحيلٌ ميتافيزيقيًا[2].

بالطبع، لا يُؤمنُ الملحدون بأنّ الله موجود، فضلًا عن الإيمان بوجوده على نحوٍ واجب، وعليه عادةً حينما تُقدَّم الحجّة الأخلاقية على هذا النحو فلا يُعتَبر أو يُقصَد أنّ القضية المضادّة للواقعية يُشيرُ إلى قضية مضادّة للجوهر. على الأغلب، يؤخَذ الأمر أنّه يعني شيئًا كالتالي: على فرض عدم وجود الله في العالم الفعلي، فلن

1. metaphysics of modality

٢. قد يقترحُ أحدهم أنّ هذه القاضايا المضادة للجوهر ليست إشكالية على وجه الخصوص، لأنّه يُمكننا أن نؤكّد بنحوٍ يحملُ المعنى أنّه «إذا لم يكن الله موجودًا فإنّ الله لم يخلق العالم». هذا صحيح، ولكن يُحتجّ أيضًا أنّه تحليلي محض. من ناحيةٍ أخرى، إنّ الادّعاءات التركيبية الأساسية التي تضمُّ المقدّمة المستحيلة المتمثّلة بعدم وجود الله تبدو إشكاليةً فعليًا -إذا تضمّن الادّعاء التأكيد على أكثر من هذا: لا شيء موجود في عالمٍ عديم الوجود.

تثبــت أيّ وظائف أخلاقية موضوعية. للاطّلاع عــلى مثالٍ حول هذا، خُذ بعين الاعتبــار ردَّ ويلينبرغ على دعوى كريغ بأنّه مــن دون الله، يفقتدُ البشر للحقوق والوظائف الأخلاقية: «يُمكنُ للبشر أن يتعقّلوا، وأن يُعانوا، وأن يقعوا في الحبّ، وأن يضعوا أهدافًا لأنفســهم، وما إلى ذلك. ســواء وُجِد الله أم لا، يختلفُ البشر بشكلٍ واضحٍ عن الكلاب أو قِطع الوحل من حيث صفاتهم الداخلية »[1].

من الواضح أنّ ويلينبرغ يعتبرُ مُقترح كريغ مُتعلّقًا بالعالم الفعلي والافتراض بأنّه، في هذه الحقيقة الموّجهاتية، لا يوجد الله. في هذا العالم، يُدّعى أنّ الاغتصاب ليــس خطأ، والعنصرية ليســت خطأ، وهتلر لم يكن مُخطئًــا. كتب كريغ ما يلي: «وفقًا للنظرة الإلحادية، ليس ثمّة خطأ فعلي في اغتصاب شــخصٍ ما»[2]. مُجددًا، نقول إنّ هذا مؤســفٌ من المنظور الجدلي على الأقل، ويُحتجّ أيضًا بأن لا لزومَ له لأنّــه يوجدُ طريقٌ أفضل للتعبير عن الحجّة ليسَ مُزعِجًا إلى هذا الحد أو عُرضة للانتقاد إلى هذه الدرجة، ويُحتجّ أنّه طريق أكثر فاعلية لبناء جسرٍ مع المتحاورين العلمانيّين. هذا البديل هو دليل احتمالي، استدلالٌ على التفسير الأفضل، ولا يلزم أن يدّعي أنّ الإيمان بالإله يُقدّمُ التفســير الوحيد للحقائق الأخلاقيّة بل فقط أنّه يُقدِّمُ التفســيرَ الأفضل. ولا يلزم أيضًا أن يُضمِر قضايا تركيبية مُضادّة للجوهر ويورّط نفســه في التعبير الرنّان عن خصائص تنتمي إلى ما يُمكن أن يتّضح أنّها عوالم مُستحيلة.

ولكن كما ســوف نرى، فإنّ اتبّاع السبيل الاستخلاصي يتطلّبُ الصبر لأنّه يعنــي ضرورة أن نكون مُواظبين أكثر على التفكير الدقيق بنطاقٍ من المحاولات الأخلاقيّة العلمانية الرامية إلى تفسير الواجبات الأخلاقيّة. ولكنّ الصبر يستحقُّ

1. Wielenberg, Robust Ethics, 51.

2. Craig and Armstrong, God? A Debate Between a Christian and an Atheist,18.

ذلـك، لأنّ هذه المقاربـة تُتيحُ التوقُّع بـأنّ الجهود الطبيعيـة والعلمانية المتنوِّعة الساعية وراء النظرية الأخلاقيّة لديها شيءٌ لتقوله ومُساهمات وبصائر لتقدّمها. بالتالي، لا يُمكنُ صرف النظر عنها بسـهولة أو تجاهلها بمسـؤولية. ولكن من خلال التحليل الدقيق، تبدو محدودياتها واضحة بشـكلٍ مُتنامي. وعليه، سوف ننتقلُ إلى النموذج الاسـتخلاصي من دليل الواجب الأخلاقي، وسـوفَ نقومُ أولًا بتحديـد الحقائـق الأخلاقية الوثيقة الصلة التي تحتـاجُ إلى شرح، ومن ثمّ سوف ننطلق في آخر قسمين للبحث عن أفضل تفسيرٍ لتلك الحقائق.

الواجباتُ الأخلاقيّة وخصائصها

تنطوي الأخلاق الواجباتية على مجموعةٍ مهمة من الأحكام الأخلاقية؛ فهي تتضمّـنُ قضايا المباح الأخلاقي، والواجـب الأخلاقي، والمحظور الأخلاقيّ. كثـيرًا ما يتمُّ التعبير عنها بعباراتٍ مثل «الصح» و«الخطأ» (الأخلاقيّ) التي يتمّ توظيفها بطرق مُتنوّعة. الفعل الذي يكونُ من الخطأ عدم الإتيانُ به هو الواجب الأخلاقي، والفعل الذي ليس من الخطأ فعله هو المباح الأخلاقي، والفعل الذي يكـونُ من الخطأ ارتكابـه هو المحظور. رُغم أنّ الوظائـف الأخلاقية لا تُغطّي كامل المسـاحة الأخلاقية، إلا أنّها تُمثِّلُ وفقًـا لمعتقدات كثيرٍ من علماء الأخلاق جزءًا جوهريًا من الأخلاق يصرخُ طالبًا الشرحَ الوافي.

من السـهل أن نشرحَ الواجبـات الأخلاقيّة إذا كان ما نعنيه من «واجبات» هو ببساطة مشاعر الالتزام، ولكنّ الأخيرة ليست ضرورية ولا كافية للأولى. قد يُهمِل أحدهم وظيفةً مُحدّدة لفترةٍ زمنية طويلة بحيث لا يعد يشـعرُ بأنّها وظيفة. في المقابل، قد يشعرُ أحدهم أنّ عليه أن يفعل شيئًا ما ولكن ليس عليه التزامٌ أن يفعلـه مُطلقًا. تأمـل في الأخلاقي المفرط التدقيق الـذي يعاني من ضمير مبالغ في نشـاطه، والذي يشعر بالذنب حتى تجاه المخالفات البسيطة لآداب السلوك.

ولكن عادةً يكونُ من المعقول أنّ مشاعر الواجبات تتوافقُ -على الأقل تقريبًا- مع الواجبات الفعلية.

الواجبات الأخلاقية ليست مجرد اقتراحات، أو مثاليات حذرة، أو وسائل لتفادي المشاكل، أو قِطعًا حكيمة من النُّصح. الوظائف ليستْ مجرّد اقتراحات، ليس هذا فحسب، ولكنّها أيضًا ليست مجرّد أوامر ثمّة أسباب ممتازة لأدائها. الواجباتُ الأخلاقية ليست بمثابة خياراتٍ فقط بالنسبة إلينا، ولا حتّى خيارات تدعمها أسبابٌ جيّدة؛ بل إنّه -لنستخدم وصف العالِمِ الواقعيّ[1] من جامعة كورنيل[2] دايفيد برينك[3] - لا يُمكن الفرار منها. ثمّة كلمة أخرى تُستخدم مُرادِفةً لـ«الوظيفة» أو «الواجب» هي «الأمر»، وقد اشتُهِر إيمانويل كانط بتمييزه بين الأوامر الافتراضية والأومر المطلقة. تعتمدُ شرعيةُ الأوامر الافتراضية على هدفٍ ما يُريده الآمر؛ على سبيل المثال، لكي تخسرَ الوزنَ عليكَ أن تأكل أقلّ. الأمر الافتراضي بالأكل أقلّ ليس قابلًا للانطباق بشكلٍ عمومي وهذا واضحٌ بما فيه الكفاية، فلا ينطبِقُ مثلًا على فردٍ هزيلٍ يُعاني من مرض فُقدان الشهيّة. أما الأمر المطلق[4] وفقًا لفَهم كانط، فهو قابلٌ للانطباق على نحو العموم ولا تعتمدُ شرعيّتُه على هدفٍ يُريده الآمر على الإطلاق. مُعاملة الآخرين كأهدافٍ بحدّ ذاتهم وليس مجرد وسائل -استخدامًا لمثال كانط الشهير- فهذا أمرٌ مُطلق، أي شيء على عاتق الجميع وظيفة أخلاقيّة بفعله.

تتطلّبُ الواجباتُ الأخلاقية التي حُلّلت كأوامر مُطلقة أكثر من مجرد

1. realist
2. Cornell
3. David Brink
4. categorical imperative

عدم إمكانية الفرار منها. تقتضي الأخلاق مُكوّنًا إضافيًا حيويًا وصفَه ريتشارد جويس[1] بـ«السُّلطة»[2]، وذكرَ أنّ هذا يمنحنا منظومةً معيارية تتمتّعُ بالخاصيتَين (عدم إمكانية الفرار منها وسُلطتها)، منظومةً تملكُ «نفوذًا عمليًا[3]»[4]. ينصُّ هذا النفوذ العملي أنّ الواجب هو ما علينا فعله، ما يجب أن نفعله –ليس بمعنى الوجوب السببيّ بل الوجوب الأخلاقيّ. حينما تحدّث سي.إس. لويس[5] عن الضرورة الأخلاقية في أول كتابه «المسيحية المحضة»[6]، فإنّه قد أشار إليها بأنّها «قانون»، ولكنّه ميّزها عن القوانين التي تحكمُ على عملية سَير العالم المادي بهذا المعنى بالذات. لا يُمكننا أن نختار الخروج عن حُكم الجاذبية ولكن يُمكن أن نختار تجاهلَ القانون الأخلاقي –وهذا ما نفعله في أغلب الأحيان.

الوظائفُ الأخلاقية تمنحنا أسبابًا، وهي بالفعل أسبابٌ مُقنعة ومُهيمنة لكي نُقدم على فعلٍ ما. ولكن، يمكن القول، عكسَ ويلنربرغ وبارفيت الترتيب حينما صرّحا أنّ الواجبات ناجِمة عن اجتماع أسبابٍ كافية للإقدام على فعلٍ ما (من نوعٍ مُحدّد). ربطَ بارفيت الأسباب المعيارية بالادّعاءات حول ما يلزمُ أن نفعله كالتالي: «حينما نملكُ أسبابًا حاسِمة، أو السبب الأقصى، للتصرُّف بطريقةٍ مُعيّنة، فإنّ هذا الفعل هو ما يجب أو يلزم أن نفعله فيما نُسمّيه الحواس المشيرة إلى السبب الحاسِم»[7]. فصّل ويلينبرغ الأمر كما يلي: «يلزم، يجب، أو يُفترض من S أن يفعل A، فقط في حال كان يملكُ S أكثر سببٍ معياري لأن يفعل A. نملكُ

1. Richard Joyce
2. authority
3. practical clout
4. Joyce, The Evolution of Morality, 57.
5. C. S. Lewis
6. Mere Christianity
7. Parfit, On What Matters, vol. I, 33.

أحيانًا أسبابًا أخلاقيّة حاسِمة للتصرُّف بطريقةٍ مُحدّدة. في هذه الحالات، نكونُ ملزَمين أخلاقيًا أن نتصرّف بطريقةٍ مُحدّدة»[١]. يبدو أنّ بارفيت وويلينبرغ يدعمان تحليل «الوظيفة البَعدية»[٢] حيث تنجمُ الوظائف عن أسبابٍ كافية من نوعٍ مُحدد للتصرُّف. تقليديًا، حُلِّلتْ الواجبات الأخلاقيّة بمعنى «الوظيفة القَبلية[٣]» حيث تسودُ الوظائف وتُوفِّرُ هي الأسباب المقنعة للتصرُّف[٤].

كما عبّر تشارلز ستيفن إيفانز: «كثيرًا ما يملكُ الناس أسبابًا لأداء الأفعال -حتّى أسبابًا قوية وحاسِمة- ليس عليهم واجبٌ أخلاقي بفعلها»، وأضاف: «رغم أنّه من الصحيح قطعًا أنّ الواجب الأخلاقي يمنحُ الفردَ سببًا للتصرُّف بطريقةٍ مُعيّنة، لا ينتجُ عن ذلك أن يكون شرح سبب الفعل بحدّ ذاته هو شرحٌ للواجب الأخلاقي»[٥]. ردّد بول كوبان[٦] وماثيو فلاناغان[٧] أصداء إيفانز، حيث كتبا: «الواجب الأخلاقيّ ليس نفس ما يملكُ المرءُ أسبابًا جيّدة لفعله. تتضمّنُ الواجبات سببًا مُحددًا للفعل: سببًا يتضمّنُ أمرًا يجبُ علينا الامتثال له، سببًا يُمكنُ للآخرين أن يُلقوا اللومَ علينا عقلانيًا ويؤنِّبوننا بسبب فشلنا بذلك، سببًا يُمكن أن نُحاسَب عن استحقاقٍ ونشعرُ بالذنب لانتهاكه، وسببًا من العقلائي غرسُه في الآخرين»[٨].

---

1. Wielenberg, Robust Ethics, 7.

2. duty-posterior

3. duty-anterior

٤. حجّة دايفيد برينك التي تُفيدُ أنّه أحيانًا حتّى الواجبات الأخلاقيّة القوية قد لا توفّر لنا أسبابًا عقلانية مُقنعة بما فيه الكفاية للتصرُّف، تُظهر أنّه على ما يبدو يتبنّى برينك نموذج الوظيفة القَبلية.

5. Evans, God and Moral Obligations, 9.

6. Paul Copan

7. Matthew Flannagan

8. Copan and Flannagan, Did God Really Command Genocide? Coming to Terms

هذا الأمر يُبيِّنُ الطريقةَ التي تُشــيرُ فيها لغةُ الواجبات الأخلاقية إلى سُــلطة الاقتضاء الأخلاقيّ، وهذا يؤدّي إلى ميزة أخــرى للوظائف الأخلاقيّة. يُمكنُ أن نلحــظَ هذه الخاصيّة الإضافية بالنحو الأوضح حينــما نُفكِّرُ بما يقولُ لويس أنّنا نفعلــه غالبًا: التصرُّف على نحوٍ ينتهكُ القانــون الأخلاقي. إحدى النتائج هي استشــعار الذنب كما ناقشنا آنفًا، الذنب الذي يُفهَم كوضعٍ أخلاقيٍ بحاجةٍ للإصلاح وليس كمجرّد شعور شخصي[1].

ثمّة خاصيتان أخريتان مســؤولتان عن قسطٍ كبيرٍ من المعنى البشري حول الذنب. إحداهما هي الأذى الذي يتسبّبُ به الفعل (الخاطئ) الذي قام به الفرد، وأمّا الخاصية الثانية الأكثر انتشارًا للذنب فهي الاغتراب عن الناس إلى درجةٍ أو أخرى. يظنُّ إيفانز أنّه من بين الخصائص المتنوّعة للوظيفة الأخلاقيّة، فإنّ السلطة هي الخاصية التمييزية الأهم. اعترفَ إيفانز أنّ أحد المهام المهمة لعلماء الفلســفة المعرفية الأخلاقية هو تفسير هذه السُلطة. التحدّي الكامن في ذلك -إضافة إلى التحدّيات المعرفية التي تُواجِهُ مؤيّدي الواجبات الأخلاقية الملزِمة موضوعيًا- أدّت إلى أن يرفض جون ليســلي ماكي[2] طبعًا هذه الواجات بصفتها غريبة جدًا أنطولوجيًــا، وهو مــا أدّى إلى «نظرية الخطأ[3]» الخاصّة بــه. ما هو الشيء المميز، والغريب بالاحتــمال، في الواجبات الأخلاقية؟ كما أكّد جورج ماڤرودس[4] (في مقطعٍ شــهيرٍ أشارَ إليه بلانتينغا أيضًا) فإنّ امتلاكَ واجب أخلاقي يعني امتلاك

---

with the Justice of God, 165.

1. subjective

2. J. L. Mackie

3. error theory

4. George Mavrodes

سـببٍ مميزٍ للتصرُّف؛ الواجب ينقلُ فكرةَ الحُكم المطلق. هـذا يُميِّزُ الواجبات الأخلاقية، التي حُلِّلت على هـذا النحو، عن صورة الأخلاق التي نجدها عند أرسـطو. حينما استخدمَ أرسطو عباراتٍ مثل «ينبغي» أو «يلزم»، فإنّها ارتبطتْ بما هو جيدٌ أو سيءٌ لشيءٍ ما على ضوء ما هو مطلوبٌ كي يزدهرَ ذلك الشيء أو يُحقّق قابليته. العدلُ -اسـتخدامًا للمثال الذي قدّمه إيفانز- هو فضيلةٌ مطلوبة للازدهار البشري، وعدم العدل هو بالتالي مضر للفرد.

في المقابل، كثيرًا ما تحوي عباراتٌ مثل «ينبغي» و«يلزم» في الفلسفة الأخلاقية الحديثة معنىً أخلاقيًا مميزًا حيث تُشيرُ إلى نوعٍ من الحُكم المطلق[1]. نسبَتْ أنسكوم الاختلافَ إلى النفوذ التدخليّ للدِّين المسيحي مع مفهومه القانوني حول الأخلاق. ولكن إذا كان هذا التصوُّر حول الإله المصدِر للقوانين سـائدًا خلال العديد من القرون ومـن بعدها تمّ التخلّي عنه، فبالكاد يكون مُفاجئًا لمفهوم الواجب -أي الإلـزام أو المطالبة كما من قِبل القانون- أن يسـتمرّ لبعـض الوقت رغم أنّه قد قُطِـع عن جذره. هذا بالضبط هو ما اعتقدت أنسـكوم أنّه حصل، مؤديًا إلى أن تحتفـظ آثارٌ من اللغة الأخلاقية بجوّ اسـتخدامها الأكثر تقليدي إلا أنّ روحها قد ذهبت ونفوذها قد أُزيل. لهذا السبب، اعتقدتْ أنسكوم -التي انخرطت في التأليف خلال الخمسينيات من القرن الماضي- أنّه من الأفضل ترك التصوّرات الحديثة خلفنا والعودة إلى فَهم أرسـطو، وذلك لأنّها كانت تعتقدُ أنّ الدعامات النظرية للأخلاق الحديثة كانت مفقودة على نحوٍ غير قابل للاسترداد. كما يذكرُ إيفانز، فإنّ أنسـكوم التي كانت كاثوليكية مُتديِّنة كانت لتلقى مُفاجأة سارّة لو عاشت لترى النهضة الحديثة في الاهتمام بالأخلاق الإيمانية، بما في ذلك الاهتمام بالتنوّعات في رواية الأمر الإلهي حول الواجبات الأخلاقية.

1. Anscombe, “Modern Moral Philosophy”.

ما هو مهمٌ لأهدافٍ حالية هو أن نُلاحظ ما يُسمّيه إيفانز «حدسية أنسكوم»[1]: الفكرة بأنّ الواجبات الأخلاقيــة كما اختُبِرتْ تملكُ طابعًا فريدًا، وأنّ محاولات تفسير الواجبات الأخلاقيّة ينبغي أن تُبيِّن ذلك الطابع المميّز. تبرزُ في رأي إيفانز أربع خصائص على أنّها تُشــكِّل الواجبات الأخلاقية: ١) الحكم حول الواجب الأخلاقي هو نوعٌ من الحكم على فعلي أنا؛ ٢) الواجب الأخلاقي يُوصل التأمُّل إلى الخاتمة؛ ٣) يتضمّنُ الواجب الأخلاقي المســاءلة أو المســؤولية؛ و٤) ينطبقُ الواجب الأخلاقي على الأشخاص ببساطةٍ كأشخاص[2].

من المثير للاهتمام أنّ إيفانز رغِبَ في أن يُشــير -على خلاف أنســكوم- إلى أنّه على ما يبدو فقد تعاملَ ســقراط مع مفهوم الواجب الأخلاقيّ. على ســبيل المثــال، جميع الخصائــص الأربع موجــودة في كتاب أفلاطون الدفــاع[3]. يعتقدُ إيفانز أنّ هذا مهم لأنّ فكرة كون الواجبات الأخلاقية شــبيهة بالحُكم وحافلة بالســلطة قد لا تكونُ نتيجة وحي خاص فقط بل شــيئًا مُتاحًا بشكلٍ أعم. هذا مُحتمل الأهمية لســببٍ وثيق الصلة بموضوع هذا الفصل: إذا عُرِّفتْ خصائص الواجــب الأخلاقي على نمــط المصادرة على المطلوب، فلا يُمكنُ اعتبار فشــل النظرية الأخلاقيّة في إرضــاء التقييدات المنبثِقة كخصائص مفهومية للواجبات الأخلاقية فشلًا كبيرًا في النهاية. على سبيل المثال، إذا جاءت الواجبات الأخلاقية -التي حُلِّلتْ على نحوٍ يُرضي حدســية أنسكوم- فقط أو بشكلٍ رئيسي كنتيجة للتعاليم اليهودية والمســيحية، فيمكن للشــخص العلماني أن يرد: «حَسَنًا، فهذا أسوء للواجبات الأخلاقية التي فُهمت على ذلك النحو». وعليه، فإنّ الاعتراف بأنّ سقراط نفسه قد فهم الواجبات الأخلاقية عى نحوٍ قريبٍ للغاية من المفهوم

1. Anscombe Intuition

2. Evans, God and Moral Obligations, 12-14.

3. apology

الحديــث يُعدُّ نقطةً مهمة يجب أن تردعنا عــن صرف النظر عن المفاهيم الحديثة بسرعةٍ فائقة[١].

يُمكن أن نتحدّث بشــكلٍ تفصيلي أكثر عــن الخصائص المتنوّعة للواجبات الأخلاقيــة، ولكن قلنــا ما يكفي لكي ننتقل الآن إلى المرحلــة الثانية من دليلنا. لكي نُلخّص، نقول: لعلّ أهمّ خاصيّة تمييزية للواجبات الأخلاقية، التي حُلِّلتْ كلاسيكيًا في التعاليم السقراطية والإيمانية، هي أنّها سُلطوية وتمنحنا أسبابًا قوية كي نمتثلَ لها. الفشــل في أداء وظائفنا الأخلاقية يُنتِجُ عادةً الشعور الموضوعي بالذنب، الاغتراب عن الآخرين، و -حينما يقع الضرر- شعورًا أكبر بالذنب.

استقصاءُ الحقل

بما أنّ الدليلَ الأخلاقيّ يطلبُ منّا أن نُفكِّر بالعالَم الواقعيّ وأن نُحاول تفسيرَ الواجب الأخلاقي من دون الرجوع إلى المصادر الإيمانية، يُصبحُ من الأهم قضاء الوقت المطلــوب لمنح الجهود العلمانيــة المتنوّعة الرامية إلى التفســير الأخلاقي حقَّهــا. لا يُمكنُ تحقيقُ ذلك في فصــلٍ واحد، فضلًا عن مقطعٍ واحد من فصلٍ واحــد -ولكنّني قد أنهيــتُ مؤخرًا مع جيري والز مُجلدًا حيــث منحنا فيه هذه القضية مُعالجةً بطول كتاب، وقد اعترفنا أنّه مجرد بداية للمشروع، وهو برنامجٌ طموحٌ للغاية لا يُمكنُ استيفائه في كتابٍ أو كتابين[٢]. ينبغي أن تكفي هنا الإشارة إلى الجهات التي يجب المضيّ فيهــا. مُجددًا نقول، بما أنّ علماء الأخلاق العلمانيّين يتعاملــون مع هذا العالَم -وهو عالَم، إذا كان المؤمنون بالإله مُحقّين، قد خلقه الله

١. يعتقدُ ريتشــارد جويس أيضًا أنّ جــزءًا من مفهوم الأحكام الأخلاقية عمومًــا والواجبات الأخلاقية خصوصًا هو امتلاكها للنفوذ الأخلاقي، «الحيوية»، أي نوع الســلطة الملزِمة التي تُشــيرُ إليها حدســية أنسكوم.

2. Baggett and Walls, God and Cosmos: Moral Truth and Human Meaning.

وأسكنَ فيه مخلوقاتٍ صُنعت على صورته- فسوفَ يكونُ من المفاجئ كُليًا من المنظور الإيماني أن لا يتمكّن علماءُ الأخلاق العلمانيّون أن يُحقِّقوا أيَّ تقدُّمٍ في النظرية الأخلاقية على ضوء المصادر الغنيّة في هذا العالَم الموجودة تحت تصرّفهم.

بمعنىً ما، كثيرًا ما تأخذُ المقاربة القياسية بيدٍ واحدةٍ ما تُقدّمه باليد الأخرى. من خلال تقديم مصادر هذا العالَم لكي تُستخدَم في تشكيل نظريةٍ أخلاقية علمانية، تمنحُ الحجّة العلمانيّين مقدارًا كبيرًا من المادّة التي يتعاملون معها في جهودهم لتفسير الواجبات الأخلاقية. ولكن غالبًا ما تُركَم جميع هذه النظريات الأخلاقية العلمانية معًا ويُصرَف عنها النظر مُباشرةً وبسرعةٍ قصوى. وعليه، فإنّ المنح الحقيقي للعلمانيين المتحاورين معنا حقًا بتوظيف مصادر العالَم -من تقديمات الحدسيات إلى إشباعات الأخلاق إلى مُقتضيات التناغُم الاجتماعي على سبيل المثال لا الحصر- يعني أنّ علينا أخذ الوقت لكي نمنح مُقترحاتهم التفكير الكافي، وإن اقتضى الأمر، أن نمنح الفضلَ لبصيرتهم المشروعة.

ما هو كافٍ أغلب الوقت في المعالجة التي تُقدّمها المؤلّفات الدفاعية الدينية الشهيرة حول النظريات الأخلاقية العلمانية هي بعض الانتقادات العامة غير التفصيلية التي تفشلُ في إنصاف العمل الدقيق الذي حقّقه المفكّرون الجادّون حول هذه القضية. ما حاول سي.إس. لويس أن يفعله في أول كتاب «المسيحية المحضة[1]»، على سبيل المثال، قد يخدمُ أهداف الدفاع الشعبي عن العقيدة، ولكنه متسرع للغاية ليخدمَ هدفَ إخضاع النظرية الأخلاقية العلمانية إلى التدقيق النقدي الصارم. كثيرًا ما يرضى نقّادُ الأخلاق العلمانية بالنقد العام، كالصعوبة التي يُواجهها مؤيِّدو الفلسفة الطبيعية في جهودهم لفهم معنى

1. Mere Christianity

الفاعليــة الأخلاقية ذات المغزى. على وجــه التحديد، هذا ما تُفيده الحجة، على أكثر تقدير معنى أنّ الناس «يُمكن أن يفعلوا العكس» في عالمٍ مُحدّد أو شبه مُحدّد (على الأقل على المســتوى الكليّ) هو بمعنى مُضــاد للواقع: لو أرادوا أن يفعلوا الأمر بشــكلٍ مُختلف وكان بمقدورهم ذلك، لفعلــوا ذلك. ولكن بالطبع، هذا التفســير هو أقلّ بكثير مما هو منشــود، كأيّ قدرةٍ فعلية على فعل العكس دائمًا. إذا اقتضت الفاعلية الأخلاقية ذات المغزى وإسنادات المسؤولية الأخلاقية هذه الحرية –والفلســفة الطبيعية تواجهُ وقتًا صعبًــا للغاية في تأمينها– فلدينا إذًا نوعٌ عام من نقد الأخلاق الطبيعية.

المشــكلة مع هذا النقد العام، رغم قوّته المحتملة، هي مُزدوجة: أولًا، يُعقِّد النقد الطريقة الأفضل لفهم الإرادة الحرّة، وهذا يســتحدثُ مؤلفاتٍ واســعة؛ وعليــه، في وقتٍ سريعٍ للغاية، ينتقلُ كامــل التركيز في النقاش من الأخلاق إلى الميتافيزيقيا. هذه النقاشــات جديرة بأن تُعقَد، لكن في هذا السياق تعملُ بشكلٍ كبيرٍ في تغيير الموضوع. ثانيًا، وبشكلٍ أكثر أساسًا، تفشلُ هذه الانتقادات العامة في التعامل مع أيٍّ مــن تفاصيل النظرية الأخلاقية العلمانية، وهذه طريقة غريبة في إخضــاع هذه النظريات إلى التدقيق. بالتالي، كثــيرًا من الأفضل –وقطعًا من الأفضل وفقًا للمقاربة الاستخلاصية– أن نتعمّق في تفاصيل الأخلاق العلمانية، وأن نُدرك التنوُّع المعروض في الآراء وليس فقط ما يجمعها بل أيضًا كيف تختلف.

على سبيل المثال، تتناولُ المعالجة الكاملة نطاقًا من المقاربات العلمانية الأخلاقية والميتا–أخلاقية، الطبيعية وغير الطبيعية، التي تتراوحُ من رأي فيليبا فوت[1] حول

1. Philippa Foot

القانون الطبيعي، إلى اللاطبيعية[1] التي يتبنّاها شيفر لانداو[2]، إلى البيانات التابعية[3] كتلك التي قدَّمها إريك ويلينبرغ، إلى البيانات الأخلاقية الطبيعية كتلك التي طرحها مؤيِّدو الواقعية في جامعة كورنيل، إلى المقاربات التطوُّرية المتنوّعة، إلى بنائية كورسغارد[4]، وأكثر من ذلك، حيث يتمّ تأجيل الانتقادات القابلة للانطباق على الجميع إلى ما بعد إنهاء هذا العمل. من الواضح أنّ هذا الفصل لا يُمكن أن يُحقِّق كلّ ذلك العمل ضمن هذه المساحة، ولكن يُمكن أن يُقدِّم مثالًا واحدًا موجزًا حول نوع العمل المطلوب، وهو مثالٌ قدّمه بلانتينغا نفسه.

خُذ على سبيل المثال فيليب كيتشر[5] الذي قدّم أخلاق الفضيلة الطبيعية[6]. ألّف كيتشر كتابًا حديثًا تحت عنوان «الحياة بعد الإيمان: الدفاع عن الإنسانية العلمانية». منذ عقد مضى، كان كيتشر قد لخّص موقفه وكتبَ أنّ الوظيفة الرئيسية للتوجيه المعياري هي تعزيز القابليات النفسية التي تجعلُ المخالطَة الاجتماعية مُتاحةً لنا. تتضمّنُ هذه القابليات النفسية القدرة على التعاطُف مع حاجات الآخرين واهتماماتهم، وإلى حدٍّ ما تتعزّزُ هذه القابليات عبر أوامر توجيهية للالتفات بشكلٍ أكبر إلى خطط الآخرين ومشاريعهم حتّى في المواضع التي لا يوجد فيها -ولو مبدئيًا على الأقل- استجابةً تعاطفية. يعتقدُ كيتشر أنّ الوظيفة الرئيسية للأخلاق هي بسط وتعزيز تلك الميول الإيثارية البِدائية التي أصبحنا من خلالها حيواناتٍ اجتماعية بادئ الأمر، ومن ثمّ هذا له الأثر الثانوي المتمثِّل بالترويج للترابط الاجتماعي.

---

1. non-naturalism
2. Russ Shafer-Landua
3. supervenience accounts
4. Christine Korsgaard
5. Philip Kitcher
6. naturalized virtue ethic

استنادًا إلى رأي كيتشر الذي فصّله في كتابه «المشروع الأخلاقي»[1] الصادر في العام ٢٠١١، وضعَ التطوُّر بعضَ القابليات للتعاطف مع الآخرين واستشعار ألمهم وتحديد رغباتهم وما إلى ذلك. ولكن بما أنّ هذه القابليات التخيُّلية تبقى محدودة، فإنّ وظيفة الأخلاق هي بسط هذا التعاطف. بصفتنا مخلوقات أخلاقية، وظيفتنا هي بسط استجاباتنا التعاطفية وتوسعة ميولنا الإيثارية، ومن خلال ذلك نختار طريقةً للحياة هي أفضل موضوعيًا. إحدى توصيفات رأي كيتشر تُشبهُ نظرية العقد الاجتماعي البراغماتية القائمة على الإيثار الأخلاقي، وهي تعملُ بطريقتين: حينما نسعى وراء الخير الإيثاري، فإنّنا نُلخِّصُ المشكلة الأخلاقية الإنسانية الأصلية وبالتالي نقومُ بنقل المشروع الأخلاقي الإنساني التأسيسي قدمًا؛ ومن خلال السعي وراء هذا الخير، نُساهِمُ في التقدُّم الأخلاقي. يُمكن أن نُبصر النظرية أيضًا كصورةٍ مُغايرة لأخلاقيات الفضيلة التي تمّ إضفاء الطابع الطبيعي عليها. يَستبدلُ هذا المجهود كلامَ أرسطو حول الطبيعة بشيءٍ يُعتبر علميًا أكثر جدارةً بالاحترام؛ وفقًا لهذا المفهوم، ما ينبغي أن نفعله أخلاقيًا هو تابعٌ للصفات التي ينبغي أن نُطوّرها والتي تعتمدُ على أيّ صنف من المخلوقات هو نحن.

لأسبابٍ حالية، تجدرُ الإشارة إلى أنّ رأي كيتشر هو سيءٌ على وجه الخصوص في شرح الواجبات الأخلاقية. عوضًا عن مُحاولة شرح هذه الواجبات، أنكرَ كيتشر وجودَها. أقرّ كيتشر أنّنا لا نحظى بإمكانية الوصول إلى الحقيقة الأخلاقية أو الواقع الأخلاقي، ولكنّه احتجَّ أنّه يُمكنُ للمجتمع الأخلاقي أن يعمل كموازٍ تقريبي للحقيقة الأخلاقيّة من خلال تشكيل ما يُعتقد أنّه مبادئ وخيارات أخلاقية تقدُّمية. هذا يظهرُ بوضوح تام في كتابه الأخير، في الفصل حول الأخلاق الذي وصفه بلانتينغا كما يلي:

1. The Ethical Project

«هدفُ (كيتشر) في هذا الفصل إذًا هو تقديم إثباتٍ طبيعي للقيم؛ بيان حول الأخلاق يتناسبُ مع العلمانية ولكنّه لا يختزلُ الحياة الأخلاقية بالتعبير عن «المواقف الشخصية»[1]. كما يذكر (ص.٢٨)، من الشائع النظر إلى المعايير المعنوية أو الأخلاقية على أنّها مُستقلّة عن الرغبات والطموحات الإنسانية، وتملكُ نوعًا من الموضوعية يتناسبُ جيدًا مع كونها مأمورة إلهيًا. بالطبع، وفقًا لبيان كيتشر، لا تنشأ هذه المعايير في شيءٍ من قبيل الأمر الإلهي، وبيان كيتشر حول الأخلاق والمبادئ الأخلاقية لا يمنحه ذلك النوع من الموضوعية. ما هي مرتبة المعايير الأخلاقية استنادًا إليه؟ ليس من السهل أن نقول. إلى الحد الذي فهمته، يعتقدُ كيتشر أن القواعد الأخلاقية قد تطوّرت ببساطة عبر القرون كوسيلةٍ لتقليل «الصراع الوظيفي[2]» (ص.٥٣) وترويج التناغم في المجتمع. إنها فكرة جيدة لنا (كأعضاء في المجتمع) أن نتّبع هذه القواعد وأن نضغط على الأفراد غير المستعدّين لاتّباعها أيضًا بهدف إدخال هذا التناغم الوظيفيّ والحفاظ عليه في مُجتمعنا. بالطبع، وفقًا لهذا البيان التحفُّظي، ليس ثمّة شيء من قبيل الواجب الأخلاقي الموضوعي، ولن يكون ثمة شيءٌ خطأ من الناحية المعنوية في استهزائي بالمبادئ الأخلاقية الحالية (على شرط أن أتفادى الانكشاف)[3].

مُجددًا نقول، هذا المثال ليس مُصمّمًا للانطباق على كلّ نظريةٍ أخلاقيةٍ علمانية. تتطلّبُ المقاربة الاستخلاصية الصبرَ في تطبيق التحليل الدقيق على النطاق الكامل من النظريات الأخلاقية العلمانية المعروضة. مرة أخرى، ليس من الضروري أن تستنتج المقاربة الاستخلاصية أنّ أيّ واحدةٍ من النظريات -سواء كان ذلك بنحوٍ فرديٍ أو بتركيباتٍ مُتنوّعة- ليس لديها ما تُقدّمه، بل كلّ

1. subjective attitudes

2. functional conflict

3. Plantinga, “Review of Life after Faith”.

ما ينبغي الاحتجاج عليه هو أنّ جميع المقاربات العلمانية والطبيعية لا تُقدِّمُ تفسيرًا جيّـدًا للواجبات الأخلاقية كالذي يُقدّمه الإيمان. أخيرًا، ما هو نوع الدفاع عن الواجبـات الأخلاقية الذي يُمكنُ للإيمان الكلاسـيكي أن يُقدّمه؟ وهل هناك أسباب لنعتقد أنّه يُمثِّلُ التفسير الأفضل؟

الإيمان الكلاسيكي بالإله[1]

يُمكـنُ للأخلاق الإيمانية أن تسـتفيدَ مـن خصائص العـالم المادي، وهي خصائص تملكُ معنـىً أعمق حينما تُفهَم كمنتج لعملية الخَلق، ولكن بالإضافة إلى ذلك يُمكنُ أن تسـتفيدَ بشـكلٍ مُتمايز من المصادر الإيمانية أيضًا. على ضوء المحدوديـات وحالات النقص في المقاربات الطبيعيـة، فرديًا وجماعيًا، يبدو أنّ القوة التفسـيرية التابعة للأخلاق الإيمانية هي أشدّ على الأرجح. يُمكنُ توسعة تلك الحالة لتتضمّن شرحَ نطاقٍ واسـعٍ من الحقائـق والوقائع الأخلاقية –من القيـم إلى الحقوق إلى التحـوُّل الأخلاقـي إلى المعرفة الأخلاقيـة إلى العقلانية الأخلاقيـة– ولكن لأسـبابٍ حالية سـوف نسـتمرُّ في حصر اهتمامنـا تحديدًا بالواجبات الأخلاقية.

تتراوحُ جهودُ علماء الأخلاق الإيمانيّين في تفسـير الواجبات الأخلاقية بين بيانات القانون الطبيعي إلى نظريات الحافزية الإلهية[2]؛ بين نظريات الإرادة الإلهية إلى نظريـات الأمر الإلهي[3]؛ بـين نظريات الرغبة الإلهيـة[4] إلى نظريات الموقف الإلهي[5]، وغيرها. على ضوء تفضيل بلانتينغا لنظرية الأمر الإلهي، سوف نُوجِّهُ

1. classical theism
2. divine motivation theories
3. divine command theories
4. divine desire theories
5. divine attitude theories

تركيزَنا إليها. تؤكِّدُ نظرية الأمر الإلهي أنّ وظائفنا الأخلاقية قد وُضِعت أو تسبّبت عبر أوامر إلهٍ مُحبٍ وعادل. منذ صدور مقالة ألستون المحورية حول الموضوع، كان أغلبُ المتبنّين لنظرية الأمر الإلهي حذرين في تقييد الأوامر الإلهية بالصلاح الأخلاقي (الإباحة وبشكلٍ رئيسي الوجوب)، وليس الخير الأخلاقي. يُحتملُ أنّ روبرت آدامز هو أشهر مُفكّر في السنوات الأخيرة الذي طوّر هذا المسار التفكيري، فقد أنشأ تعديلًا إيمانيًا عن نموذج المطلب الاجتماعي الذي ينصُّ أنّ وظائفنا الأخلاقية قد وُضِعت عبر أوامر إلهٍ مُحبٍ وعادل[1].

احتجّ إيفانز وغيره بإسهابٍ أنّ نظرية الأمر الإلهي هي مناسبة بشكلٍ خاص لشرح الخصائص البارزة للواجبات الأخلاقية، ومن ضمنها سلطتها، وقوتها في توجيه الأفعال، وقوتها في منح الأسباب، وحدسية أنسكوم. بالطبع، الاعتراضات على نظرية الأمر الإلهي هي زاخرة، ولكن قدّم عددٌ من المدافعين الكفؤين إجاباتٍ مُمتازة على هذه التحديات التي تُشكِّلُ اعتراضات تتراوحُ بين اعتراضاتٍ تعسُّفية وفارغة وإبستمولوجية. يُمكنُ لسلسلةٍ من سبعة فروقاتٍ حاسمة، حينما تُطبّق على هذا الموضوع، أن تُتيحَ ردًّا فعّالًا على مجموعةٍ مُتنوّعة من الاعتراضات الملهَمة من حوار «يوثيفرو»[2] على نظرية الأمر الإلهي، من بينها الاعتراضات التي صوّرها البعضُ بشكلٍ خاطئ على أنّها مُستعصية[3].

---

1. Adams, Finite and Infinite Goods: A Framework for Ethics.

يجدرُ أن نذكر أيضًا الإصدار التالي الحديث واللافت:

Hare, God's Command.

2. Euthyphro- inspired

٣. فيما يلي اللائحة الكاملة:

الفارق في النطاق: التعريف مقابل التحليل.

الفارق الدلالي: أحادية المعنى مقابل المواربة.

الفارق الموجّهاتي: قابلية التصوُّر مقابل الإمكان.

لكـي نُوضّح الأمر ببعض الأمثلة، خُذ بعـين الاعتبار الفرق بين الصعوبة والاسـتحالة[1]. مثلًا، فيما يتعلّـق بالمدافعين عن التنزيه الإلهـي الذين يأخذون روايـات الغزو الواردة في العهد القديم بشـكلٍ جدي، قد يتحدّى البعض هذا الرأي من خلال الإصرار بأنّه من المستحيل مُصالحة هذه القصص التوراتية مع الإله الخيِّر بشـكلٍ كامل. بالطبع، تحوي المقاطع تحديـاتٍ ينبغي تقديمُ الإجابة عليها في هذا المجال، ولكن كما احتجّ بول كوبان[2] ومات فلانغان[3] مؤخّرًا، فمن غير الواضح إذا فُهمت هذه المقاطع بنحوٍ صحيحٍ أن يستحيل تطابقها مع الإله المحبّ بشـكلٍ كامل. حينما تُطبَّق اعتباراتٌ سـياقية كافية، يبدو أنّه من الممكن تطويع قسـمٍ كبيرٍ من التحدي. بمعنـىً ما، تطبيق تمايُز الصعوبة/ الاسـتحالة هنا يُشـبه دفاعَ بلانتينغا الشهير ضدّ إشـكالية الشر المنطقية. إذا كان (أ) يستلزمُ (ب)، و(ب) و(ج) همـا مُتوافقـان، فإنّ (أ) و(ج) متوافقـان. كذلك، إذا كان تاريخ الخلاص الذي أحدثه الإله المحبّ بشكلٍ كامل يسمحُ في بعض الظروف الاستثنائية جدًا بهذا الغزو، فإنّ الخير الكامل لله وهذا الغزو هما -على الأقل من حيث المبدأ- ممكنا التوافق.

أو خُذ على سبيل المثال هذا الاستدلال ضدّ التنزيه الإلهي التي تعتمدُ عليها

الفارق الأخلاقي: الخير مقابل الصح.

الفارق الإبستمولوجي: الصعوبة مقابل الاستحالة.

الفارق الميتا-أخلاقي: المعرفة مقابل الكينونة.

الفارق الأنطولوجي: التبعية مقابل التحكُّم.

للاطّلاع على أمثلة أكثر تحديدًا، راجع:

Baggett and Walls, Good God: The Theistic Foundations of Morality.

1. difficulty and impossibility

2. Paul Copan

3. Matt Flannagan

نظرية الأمر الإلهي غالبًا:

١. يُمكن أن نتصوّر أنّ الله قد يُذنب.

٢. إذا كان يُمكن التصوّر أنّ الله قد يُذنب، فمن الممكن أنّ الله قد يُذنب.

٣. بالتالي، فمن الممكن أن يُذنب الله (ضدّ التنزيه).

إذا كان الله من حيث التعريف مُنزهًا عن الخطأ، فإنّه منزهٌ عن الخطأ بحسب التعبير[1] ولكنّ السؤال الأعمق هو هل إنّ الله مُنزه عن الخطأ بحسب الكينونة[2] -أي هل إنّ شخص الله نفسه كامل أخلاقيًا من حيث الذات؟ يُمكن توجيه حجّة التصوُّر هذه ضدّ التنزيه الذي حُلِّل بحسب الكينونة، ولكن يكمنُ عيبُها في افتراضها العابر بأنّ قابلية التصوُّر تستلزمُ الإمكان الحقيقي والمنطقي بوجهٍ عام. يُمكن أن تُعتبر جميع أصناف الأشياء المستحيلة ميتافيزيقيًا قابلة للتصوُّر بطريقةٍ ما -كبطلان حدسية غولدباخ. ولكن بالطبع، في هذه الحالة، إذا كان صحيحًا فهو صحيح بالضرورة وليس حتّى مُمكن البطلان. وعليه، فإمّا أنّ التصوُّر، رغم فينومينولوجيته القوية، هو تصوُّرٌ زائف، أو أنّ قابلية التصوُّر لا تستلزمُ الإمكانَ الحقيقي في النهاية. في الحالتين في حجّة التصوُّر ضدّ التنزيه، يبدو أنّ أحد الافتراضين على الأقل هو مُحتمل البطلان. بالطبع، هذا لا يثبت التنزيه ولكنّه يُشكِلُ دحضًا فعالًا لدليلٍ مهم يُقدَّم ضدّه. يُساعِدُ النقاشُ الحديث حول نظرية الأمر الإلهي في إظهار أنّ هذه المقاربة هي جديرةٌ بالتفكير الجديّ وأنّها -أو شيء قريب منها- قد يُظهر فعلًا على نحوٍ قابل للاحتجاج نطاقًا تفسيريًا وقوةً مُتفوقَين في تفسير الواجبات الأخلاقية وسماتها الفارقة.

---

1. de dicto

2. de re

الختام

مثال الدمى الروسية المتداخلة هو مثالٌ جيّدٌ حينما نتناولُ الدليل الأخلاقي في هذا الفصل. حينما يُحصَر الأمر بالتدقيق في الواجبات الأخلاقية على وجه الخصوص، يُمكن تقديم دفاعٍ استخلاصي قوي بأنّ الإيمان بالإله يُوفِّرُ التفسيرَ الأفضل لكلٍّ من الوظيفة الأخلاقية وخصائصها المتنوّعة المنطقية والدلالية والفينومينولوجية. يُمكنُ لتلك الحجّة أن تتلائم مع دفاعٍ أخلاقيٍ أكبر وأعم يشملُ -فضلًا على الوظائف الأخلاقية- حقائق أخلاقيةً أخرى كالفاعلية الأخلاقية والقيمة الأخلاقية، بالإضافة إلى المعرفة الأخلاقية، والتحوُّل الأخلاقي، والعقلانية الأخلاقية. وهذا الدفاع الأخلاقي الواسع يُمكنُ أن يتلائم مع دفاعٍ أكبر تُشكّله جماعيًا العشرات من الاعتبارات الإثباتية كالتي نراها في هذا الكتاب[١].

١. سنحت الفرصة لجيري والز ولنفسي في كتاب الله والكون (God and Cosmos) بتفصيل دفاعٍ أخلاقيٍ أعم وإدخال بعض المصادر التفسيرية التابعة ليس فقط للإيمان بشكل عام بل للمسيحية على وجهٍ خاص.

المصادر

1. Adams, Robert Merrihew, Finite and Infinite Goods: A Framework for Ethics, Oxford: Oxford University Press, 1999.
2. Anscombe, G.E.M., "Modern Moral Philosophy," reprinted in The Collected Philosophical Papers of G. E. M. Anscombe, Volume 3: Ethics, Religion, and Politics, Oxford: Basil Blackwell, 1981.
3. Baggett, David, and Jerry L. Walls, God and Cosmos: Moral Truth and Human Meaning, New York: Oxford University Press, 2016.
4. ———, Good God: The Theistic Foundations of Morality, New York: Oxford University Press, 2011.
5. Copan, Paul, and Matthew Flannagan, Did God Really Command Genocide? Coming to Terms with the Justice of God, Grand Rapids, MI: Baker Books, 2014.
6. Craig, William Lane, and Walter Sinnott- Armstrong, God? A Debate Between a Christian and an Atheist, Oxford: Oxford University Press, 2004.
7. Enoch, David, Taking Morality Seriously: A Defense of Robust Realism (Oxford: Oxford University Press, 2011).
8. Evans, C. Stephen, God and Moral Obligations, Oxford: Oxford University Press, 2013.
9. Hare, John E., God's Command, Oxford: Oxford University Press, 2015.
10. Joyce, Richard, The Evolution of Morality, Cambridge, MA: MIT Press, 2007.
11. Parfit, Derek, On What Matters, 2 vols., Oxford: Oxford University Press, 2011.
12. Plantinga, Alvin, review of Life after Faith, Notre Dame Philosophical Reviews, https://ndpr.nd.edu/ news/ 54977- life- after- faith- the- case- for- secular- humanism/ (accessed June18, 2017).
13. Ritchie, Angus, From Morality to Metaphysics: The Theistic Implications of our Ethical Commitments, Oxford: Oxford University Press, 2012.
14. Wielenberg, Erik, Robust Ethics: The Metaphysics and Epistemology of Godless Normative Realism, Oxford: Oxford University Press, 2014.